مرآة المرأة والمجتمع من خلال رواية بين قلبي والمكاتيب لرنا العبري

د.فاطمة بنت ناصر المخيني(*)

الملخص:

نقترح في هذ البحث دراسة مرآة المجتمع من خلال شخصية شجن وصديقاتها التي عكست سلب حقوق المرأة في المجتمع العماني سواء أكان ذلك على المستوى المادي أم على المستوى المعنوي. وقد حوت الرواية رموزًا للأزمات الحادة التي تمر بها المجتمعات، وتعيشها في محاولة لحلها، وفرضت رأيًا خاصًا لتحقيق العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية من خلال النفاذ إلى المشاكل الاجتماعية الحالية التي يشهدها المجتمع العماني. فالقضايا التي طرحتها الرواية في مختلف الأصعدة؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تعكس التحولات التي يشهدها المجتمع العماني في الوضع الراهن المعاش، خاصة فيما يتعلق بحقوق المرأة ومعاملتها من قبل أفراد المجتمع.

وعليه، فإن هذه الدراسة بعد المقدمة وقبل الخاتمة تناقش في طياتها المحاور الآتية:

أولا: تعريف الرواية.

ثانيًا: مظاهر مرايا المجتمع في الرواية.

ثالثًا: أهمية المرايا في الكشف عن المجتمع.

* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الشرقية، سلطنة عمان

تمهيد:

تعد المرأة العمانية من النماذج الناجحة والمميزة في المجتمع بكافة مجالاته؛ حيث تسهم في بناء حاضر ومستقبل عُمان. فهي صاحبة رسالة ونواة في المجتمع العماني، مكللةً ذلك بالدعم الدائم من لدن حضرة صاحب الجلالة السلطان هيثم بن طارق المعظم – حفظه الله ورعاه – وسيدة عُمان الأولى السيدة الجليلة عهد بنت عبد الله البوسعيدية –حفظها الله–.

وتقديرًا لجهودها الجبارة ودورها في بناء المجتمع العماني فقد خُصص بأمر من صاحب الجلالة السلطان قابوس – رحمه الله – يوم ١٧ أكتوبر من كل عام يومًا للمرأة العمانية، ويحتفي هذا اليوم بمنجزات المرأة ومساهماتها، كما تعقد العديد من الندوات والمؤتمرات التي تعنى بشؤون المرأة ومن أهمها: ندوة المرأة العمانية، وندوة التمكين الاقتصادي للمرأة العمانية...إلخ. واليوم تبرز مكانة المرأة العمانية عربيًّا وعالميًّا؛ حيث أصبحت محط أنظار العديد من النساء اللواتي يصبين للوصول إلى ما وصلت إليه المرأة العمانية، وذلك ببذل الجهود المتواصلة والعمل دون توقف نحو مستقبل أفضل لها وللمجتمع.

تلعب المرأة العمانية دورًا محوريًّا جنبًا إلى جنب مع الجهود التي تدفع عجلة التطور قُدمًا للارتقاء بعُمان في نهضتها بكافة المجالات. فحضورها اللافت في مختلف جوانب الحياة وإصرارها على الوقوف بجانب الرجل، ومساندتها له دليل على كونها عنصرًا أساسيًّا في إحداث عملية التغيير في المجتمع.

وينص النظام الأساس للدولة على المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء، وانطلاقًا من هذا المبدأ، أخذت المرأة العمانية حقها من التعليم، والصحة، والعمل، والمشاركة في اتخاذ القرار، وغيرها من المجالات دون التخلف في واجبها تجاه أسرتها ومجتمعها. وأسهمت في بناء النهضة العمانية بعد أن كانت إسهاماتها لا تخرج عن حدود المنزل والمجتمع سابقًا.

أولا- تعريف الكاتبة، والرواية:

- **عنوان الرواية: بين قلبي والمكاتيب.**
- **مؤلف الرواية: رنا العبرية.**

- **دار النشر: مركز مكتبة أمجاد الإسلام.**
- **مكان النشر: مسقط – سلطنة عمان**
- **تاريخ النشر: ٢٠١٨م.**
- **الطبعة: الأولى.**
- **حجم الرواية: صغير (٩٧ صفحة).**

المؤلفة:

رنا العبرية؛ روائية، ماجستير الإعلام من جامعة السلطان قابوس، قارئة وشغوفة بالبحث العلمي، لها عدّة أعمال وروايات إلى جانب روايته (بين قلبي والمكاتيب) منها: قلب طفلة، موج من فوقه موج، صوغات جدتي.

ملخص الأحداث في الرواية:

الرواية عبارة عن رسائل تعبيرية كتبتها الشخصية الرئيسة (البطلة) وهي "شجن" لحبيبها الذي ادعته، فتخبرنا عن حياتها معه ومع صديقاتها وموافقهن مع بعض، من خلال الأحداث التي يمرن بها.

فالروائية (العبرية) تشير من خلال هذه الرواية (بين قلبي والمكاتيب) إلى أكثر من شخصية لها قصة واقعية في الحياة، وهي تناقش سلب حقوق المرأة في المجتمع العماني سواء أكان ذلك على المستوى المادي أم على المستوى المعنوي. وهذا ما جعلها محط اهتمام من قبل القرَّاء في الوسط الثقافي العماني.

فالرواية طرحت مجموعة من الأحداث التي سطرتها الكاتبة من خلال رسائل كُتبت من قبل بطلة الرواية (شجن) لحبيبها المزعوم في اثني عشر شهرًا، فضلا عن عدد من الشخصيات التي تباينت في سماتها (المطلقة، العانس، الأرملة،....إلخ). وجاء هذا كله على شكل قصة وحدث، يغلب عليه الوصف والسرد والحوار، بلغة واضحة، وأسلوب متقن جذاب.

جاءت نهاية الرواية صادمة على الرغم من أنها مدهشة في سرد أحداثها؛ وذلك لما تتمتع به –الكاتبة– من ملكة تعبيرية في وصفها للأحداث والشخصيات.

ثانياً- مرآة المرأة في المجتمع العماني (بين قلبي والمكاتيب أنموذجاً)

نحاول من خلال هذا البحث دراسة مرآة المرأة في المجتمع العماني؛ حيث تطرقت الكاتبة الروائية رنا العبري على مرايا عديدة للمرأة، وناقشت في روايتها "بين قلبي والمكاتيب" مسألة سلب حقوقها المادية والمعنوية. فكانت بذلك عاكسة لقضية اجتماعية في المجتمع العماني، التي يمكن أن تعمم على وضعية المرأة في باقي المجتمعات العربية.

ونقترب أكثر في البداية من العنوان الذي أطلقته الكاتبة رنا العبري للرواية بين قلبي والمكاتيب؛ حيث إن القلب يعتبر بحد ذاته أطلق عليه قلب لأنه متقلب بمعنى أنه يحمل مرايا عديدة لكل العواطف التي يختزنها والمكاتيب رسائل متنوعة ومباشرة ومشفرة يمكن أن تعبر عن معانٍ مختلفة، بمعنى أن المرايا يمكن أن تكون متعددة من خلالها، وليست مرآة واحدة، وكذلك كلمة (بين) الظرفية المكانية الواقعة بين شيئين يمكن أن نعتبر الصورة فيها متعددة الأبعاد لما تنتجه هذه المرايا القلبية والرسائل المتنوعة المكتوبة مجموعة من الصور التي تعكس فعلا مجموعة من المشاعر التي أرادت الكاتبة أن توثقها في هذه الرواية، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة جدا سكتت عنها الكاتبة. وهذا بحد ذاته يمكن أن تكون له عدة تفسيرات، والمقام هنا لا يجعلنا الخوض في المسكوت عنه في الرواية، وإنما نحاول أن تحدث بشكل موجز عن كل المرايا التي يمكن أن تعكس لنا الصورة الحقيقية للمرأة والمجتمع العُماني.

وفيما يلي عرض لبعض هذه المرايا المهمة التي جاءت بها الكاتبة (رنا العبرية) من خلال روايتها (بين قلبي والمكاتيب)، التي بدورها تباينت في سماتها (المطلقة، العانس، الأرملة، العاقر،....إلخ).

أولا- مرآة المرأة المطلقة: ص (٤٧)

لا يخفى على أي أحد مقدار الحالة النفسية التي يمكن لهذه المرآة أن تعكسها عن المرأة المطلقة، وما تعانيه من خوف ووجل غارق بالدمع والحزن والأسى، وكم من المعاناة التي تعانيها المرأة من خلال الشعور بالظلم ومغبة الوضعية التي آلت إليها من خلال الفقد لبيتها وأبنائها ومملكتها التي شيدتها طوال مدة زواجها، وفي وصف وضعية المرأة المطلقة، نرى الكاتبة تصف

من خلال البطلة (شجن) في رسالتها التي كتبتها، والتي تحمل الرقم (٢١)، بأنه زوجة أبيها أصبحت مطلقة بعد انقضاء ٣ أشهر، لتتزوج مرة أخرى من رجل طاعن في السن. " أصبحت زوجته أرملة، وما إن انقضت عُدتها حتى تزوجت ابن عمها، وأحضرته إلى منزل زوجها الراحل ... تطلقت بعد ثلاثة أشهر، ثم تزوجت مرة أخرى من رجل طاعن في السن". ص(٤٧).

تأتي نظرة المجتمع إلى المرأة المطلقة على إنها شيء هامشي لا يستحق الاعتناء والرعاية، وتأتي نظرة المجتمع للمطلقات من الاعتقاد بأنهن اللائي تسببن في هدم بيوتهن، ويسعين لخراب بيوت الآخرين ونصب شباكهن حول الأزواج؛ ففي كل هذه الأحول مرآة تعكس تلك الوضعيات وتلك المشاعر التي تجيش بالدمع والحزن الدفينين في القلب؛ ذلك القلب الذي يختزن لكل متناقضات هذه الحياة ويستوعب الكم الهائل من المشاعر والأحاسيس التي لا يمكن أن توصف أبدا.

ثانياً- مرآة المرأة العانس: ص (٦٤)

إن المرأة العانس في أي مجتمع لها نواحي متعددة من المرايا التي يمكن أن تصور وضعها الحقيقي؛ إذ أن هذه الوضعية لها مخاطر متعددة نفسا ومعنويا ليس فقط على المرأة وإنما حتى على المحيطين بها مثل الأم أو الأب أو الأخ أو الأخت وفي وصف وضعية المرأة العانس، جاء وضع سارة –وهي إحدى صديقات بطلة الرواية (شجن)– مماثلا لوضعية المرأة العانس كما يصورها المجتمع لنا؛ حيث كانت تقول: " أرغب بالزواج حقًّا، لكن لم يتقدم أحد لخطبتي حتى ظننت بأنني منبوذة من المجتمع..." ص(٦٤). وبعد انقضاء فترة من حياتها تقدّم لخطبتها شاب اسمه حسام، فمباشرة تمّت الموافقة من قبل أبيها دون مشورتها، ودون السؤال عنه " سأعطيك إياه يا ابنتي " ص(٦٦)، وبالفعل تمَّ عقد القران بعد يومين فقط من الخطبة. فالذي يحدث – هنا– أنه لمجرد أن الفتاة تتقدم في العمر تشعر بأن قطار الزواج قد فاتها، وبأنها لن تتزوج، وهذا ما حدث لـ (سارة) وكذلك لبطلة الرواية (شجن)، ناهيك عن نظرة المجتمع لها بأنها منبوذة.

فالمجتمع ينظر إلى الفتاة التي تصل إلى سن الثلاثين من دون زواج على أنها عانس تعيش مرحلة حرجة تقل فيها فرص الزواج، وليس مسموحًا لها اختيار مواصفات خاصة لشريك

حياتها. وهذه نظرة سلبية للمجتمع في حقيقة الأمر؛ إذ بات الأمر مختلفًا تمامًا؛ حيث لم تعد هذه الصفة تؤثر على المرأة، وهي تشق طريق التعلّم والدراسة، وأنه بإمكانها أن تختار شريكها بنفسها.

وقد يختلف السن الذي يمكن تعكسه المرآة من مجتمع إلى آخر، وكذلك المبررات التي تجعل من المرأة تواصل درب العنوسة دون استغلال للفرص التي تأتيها، بالإضافة إلى مجموعة من الصور التي تنعكس لكل امرأة من نساء المجتمع لتحقيق ذاتها من خلال مواصلة الدراسة والعمل وريادة الأعمال وغيرها من الأمور التي تجعلها مستقلة ماديا لأن الشأن المادي بدوره قد ينعكس على الجوانب المعنوية الخاصة بالمرأة.

ثالثًا- مرآة المرأة الأرملة: ص (٤٦)

قد تكون المرأة مطلقة أو عانسا باختيارها ورغبتها، ولكن أن تكون أرملة فهذا أمر لا يمكن أن تختاره أبدا وقد تجد المرأة نفسها فجأة أصبحت أرملة –فما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال– ولهذا تعيش المرأة الأرملة حالة شعورية لا يمكن لأي مرآة أن تعكس حالتها النفسية، وفي وصف وضعية المرأة الأرملة نجد الكاتبة تصف حال البطلة (شجن) كونها تشعر بنفور غريب تجاه موضوع زواج الأم بعد موت زوجها مباشرة، وتتساءل عن كيفية تقبل أخوتها لهذا الأمر وتتعجب منه: تقول هنا:

"لقد رحل أبي بهدوء، –وترك خلفه زوجة وأولاد– وما إن قضت عدتها حتى تزوجت من ابن عمها، الذي أقام في منزلهم". ص (٤٦) هنا تتعجب من تقبّل إخوتها لزاوج أمهم، لكن أخوها حمد، وهو أحد شخصيات الرواية، "يجيبها بكل بساطة بأنه الأفضل أن تعف أمهم نفسها بزوج يهتم بها بدل أن تنشق أو تنحرف عن الطريق الصحيح ..... " ص(٤٦).

هنا تتشكّل نظرة المجتمع للمرأة الأرملة على أنها مطمع للرجال، وتصاحبها سلوكيات أخرى لا تعني بالنسبة إليهم سوى أنها فريسة، فهم لا يقدرون درجة معاناتها وأنها تتحمل مسؤوليات كبيرة بمفردها، فيغفل المجتمع عن ذلك ويبدأ في ترقّب حركاتها، بعد أن كانت تعيش حياتها بكل

حرية وسعادة قبل وفاة زوجها. وهذا ما دفع بـ: حمد أن يقول الكلام الذي أفصح عنه لأخته بقوله: لا سمح الله. نجد ذلك في الرسالة رقم (٢٠) من الرواية صفحة (٤٦).

رابعاً- مرآة المرأة العاقر: ص (٣٤)

في وصف وضعية المرأة العاقر نجد الكاتبة تصف حال صديقة البطلة (شجن) وهي (عائشة)؛ حيث تزوجت وهي صغيرة، وكان زوجها يهملها، ويأخذ أموال من عائلتها بحجة علاجها من العقم؛ إذ تقول: "استمر زوجي في طلب المال، واستمرت عائلتي في إعطائي إياه ظنًّا منها أنني أتلقى صنوفًا من العلاج كي يأتي حفيدهم للحياة، ولأنني لم أستطع فتح فمي ونطق أية كلمة..." ص(٣٧) من الرسالة رقم (١٤).

تعاني المرأة المحرومة من الإنجاب من نظرة المجتمع عموما ومن عائلة زوجها على وجه الخصوص، وهذه النظرة التي تضاف إلى معاناتها النفسية، وهي تفتقد لأكثر العواطف الغريزية لدى كل أنثى، معاناة أكبر وأبشع؛ إذ ترجع الأولى لحكمة الخالق والثانية لظلم البشر، وتختلف الأسباب التي تؤدي إلى هذه الحالة، ولكن نتائجها تتشابه في معظم الحالات حتى لا نقول كلها، وتعج المحاكم بحالات الطلاق التي تسبب العقم فيها ويعج المجتمع أكثر بحالات لم تصل لحد الطلاق ولكنها تعيش معاناة يومية في محاولات كتم الحلم الدفين ومواجهة نظرة وكلام المحيطين.

وكما جاء في الملخص سابقا. فالرواية عبارة عن رسائل تعبيرية كتبتها الشخصية الرئيسة (البطلة) وهي "شجن" لحبيبها الذي ادعته، فتخبرنا عن حياتها معه ومع صديقاتها وموافقهن مع بعض، من خلال الأحداث التي يمرن بها. فالصديقات هُنَّ بثينة وعائشة وسارة وبلقيس، وكل منهن لديها وقفة مع الحياة؛ فسارة كانت أم لطفلين مُحَمَّد ومحمود. فكانت تعيش حياة هانئة كريمة، وفجأة تغيرت حياتها لحياة جديدة في غفلة منها؛ إثر حادث سير تعرّض إليه زوجها ، ممَّا أسفر عن دخوله للعناية المشددة ، ومن ثم أجله. " كنت أهزُّ مهد ابني الصغير وأنا أُغني له كي يتوقف عن البكاء، بينما أختلس النظر كل دقيقتين لابني الأكبر وهو يصلح دراجته الهوائية، ثم أتردد ذهابًا وإيابًا إلى المطبخ كي أتأكد من استواء طعام العشاء، سمعت فجأة صوت

طرقات عنيفة على باب المنزل. هرولت مُسرعة، فإذا به أبا سليمان جارنا العجوز... (سمعت بنبأ قد يزعجك يا ابنتي، لكن لابد أن تعلمي أن زوجك قد تعرض لحادث سير، استعدي ريثما أُخبر زوجتي كي توصلك للمشفى) "... ص (٥٢). " ما إن اقتربت من غرفة العناية المشددة حتى أدركت أن يتوجب عليَّ أن أرتدي وشاح الأرملة وأنا لا زلت في منتصف العقد الثاني من عمري ...." ص (٥٣). وهذه صورة أخرى من الرواية لوضعية المرأة الأرملة كما أسلفنا سابقا. وتواصل (بثينة) سرد قصتها لـ (شجن) بعد وفاة زوجها؛ إذ تقول: كنت أرتدي السواد في نهاية الشهر الثالث منذ رحيل أبا مُحَمَّد، وكانت ليلة سوداء كالحبر لا قمر في سمائها، فها هو قلبي المسكين لم يخلع حداده بعد. وإذا بشقيق زوجي الأكبر يربك ليلتنا أنا وأطفالي (عليك أن تنتقلي إلى منزلي كزوجة لي يا بثينة بعد شهر وعشرة أيام من الآن)... تنحنح قليلا .. ثم أضاف: (لا يمكنني أن أترك أبناء أخي الصغير في الشارع هكذا)..." ص (٥٦).

هنا نتساءل؛ هل المفترض في مثل هذه الحالة أن تقبل بثينة بالزواج مباشرة لمجرد أنها أصبحت أرملة وأم لطفلين وهي في مقتبل العمر؟ وكيف ينظر إليها المجتمع؟ وهل تستطيع أن تعبّر عن رأيها في هذا الأمر؟

إن نظرة المجتمع للمرأة الأرملة، وهي أم لأطفال وهي صغيرة جاءت متباينة؛ منهم من يرى أنه من الواجب أن تتزوج مرة أخرى حتى تتجاوز العقبات في حياتها، ومنهم من يعارض الأمر بحيث يمكن لها أن تشق طريقها بنفسها دونما رجل، ولكن ما حدث لبثينة بإنها كادت أن تجبر على الزواج، ولكنها هربت، تاركة خلفها أطفالها دون خوف أو تردد.

نأتي هنا إلى الصديقة (سارة)؛ حيث كانت تقول: "كنت فتاة في عمر الزهور، أحلم بفساتين البراقة، عُلب المكياج الأنيقة، وفارس الأ حلام الذي سأمنحه مفتاح قلبي..." ص (٦٣). وتواصل سردها لقصتها وتقول: " في الحقيقة أنني أتيت من أسرة ميسورة الحال، ولم نسلم من المشاكل العائلية كأي أسرة محافظة تقطن الساحل، فقد عانت أمي لسنوات عديدة من ظلم أخوات زوجها العوانس، أكاد أُجزم أن يرغب بهن رجل ما وهن الوجه الآخر للشيطان

الرجيم". ص(٦٣). فسارة كانت أنموذجًا للمرأة العانس كما جاء ذلك في الرسالة رقم (٢٨) من الرواية ص(٦٦)، وقد وضحنا ذلك مسبقًا في جزئية وضعية العانس أعلاه.

أما عن صديقة (شجن) بلقيس، التي وقعت ضحية التواصل الاجتماعي، فقد كانت تدرس وتعمل في نفس الوقت على الرغم من كون عائلتها ترسل لها المال نهاية كل شهر، إضافة إلى المرتب الذي كانت تحصل عليه من الكلية التي تدرس بها، إلا أنها لم تخبر صديقاتها اللائي يعشن معها بكل هذا، إلى أن رأتها شجن في يوم ما، وهي تتبضع في إحدى المحلات التجارية... " ماذا تفعلين هنا يا بلقيس؟ " ص (٨٥)؛ نجد ذلك في الرسالة (٤٧) من الرسائل التي كانت تسطرها بطلة الرواية (شجن) لحبيبها المزعوم.

كذلك الحال بالنسبة للصديقة الرابعة واسمها (عائشة) التي انتهت حياتها في السجن لقتلها زوجها لأنه تزوج عليها؛ حيث كانت تعمل في بيع الأخشاب بمطرح، وهناك التقت بـ (بثينة) وآواتها عندها في البيت، فعملتا معا في طهي الطعام ببيوت التجار الأغنياء إلى أن تحسّن الوضع ووجدت كل منهما الوظيفة التي تتلاءم مع أحلامها. ص(٥٩) والرسالة رقم (٢٩).

فكل واحدة من الفتيات لها قصة حزينة مضت عليها. هكذا تعبّر شجن في رسالتها التي تحمل رقم (٤٩) لحبيبها المزعوم؛ " ذلك الماضي الذي لم أسكن فيه إحدى حُجرات أيامهن التعيسة...".

وجاءت النهاية صادمة؛ حيث تم القبض على (شجن) بتهمة عدم دفع الإيجار، ممّا أدى ذلك إلى عيشها وسط السجينات، وتعرضها للاكتئاب الحاد الذي تفاقم مع تمديد فترة حبسها، ممَّا أودى لانتحارها شنقًا بواسطة قطعة حديدية بسقف الزنزانة، وعلّقت بها قطعة قماش لفتها حول رقبتها وتخلت عن حياتها.

وإذا ما أتينا إلى الجانب اللغوي في الرواية، فإننا نجد الكاتبة قد تمتعت بلغة رصينة قوية في اختيار ألفاظها، ممّا أسفر عن أسلوب جذاب في طريقة سردها للرواية، وذلك من خلال العنوان الذي وضعته بـ: (بين قلبي والمكاتيب)، ومن ثم مطابقته للمضمون (النص)، فجاء معبرًا عن تجربة غنية ببوح العواطف والأحاسيس. وكما نعلم، فالعنوان يحتل منزلة كبيرة عند الأدباء

والنقاد معا؛ لاسيما أن الدراسات النقدية الحديثة أولت اهتماما ملحوظا بعتبات النصوص بشكل عام، كالمقدمة والخاتمة، مع عناية واضحة بالعنوان على وجه الخصوص.

إن الرسائل التي جاءت بها الكاتبة في الرواية كشفت عن مضمون العنوان (بين قلبي والمكاتيب)؛ حيث عبَّرت الكاتبة بلسان البطلة (شجن)، التي عُبِّر عنها بالضمير المتصل، إلى جانب الشخصيات الأخرى بضمائر مختلفة. وهنا نرى أن هناك تنوعًا في توظيف الضمائر، أرادت به الكاتبة دفع الملل والرتابة في الأداء، ممَّا يؤدي إلى الإثارة والتشويق بتوظيف المزج الضمائري؛ نجد ذلك في مواضع متعددة في الرواية؛ مثلا: "ظننت حينها بأنك وجدت نصفك المثقف في فتاة مثلي ..." ص(٢٣) من الرسالة رقم(٨)، "بعد أن وصلت إلى القاعة برفقة عائشة، تفقدنا وجبة العشاء..." ص(٣٠) من الرسالة رقم(١١)، "طفت بقايا الدموع على وجه سارة، وأصبح فمها خاوٍ مثل مغارة باردة..." ص(٦٦) من الرسالة رقم(٣٥) " فأنا لم أستطع مساعدة عائشة وبثينة وسارة لأنهن عايشن قصصهن الحزينة في ماضٍ ما..." ص(٨٧) من الرسالة رقم(٤٨)...إلخ. إلى جانب المزج الضمائري تحضر الصور البلاغية (التشبيهات) التي بها إشارات لغوية تترشح منها دلالات تتطابق مع دلالة المضمون، فلا يمكن أن يتخيل القارئ أن مضمون الرسالة يخالف مضمون العنوان؛ فمثلا: " أتكوَّر على نفسي كجنين داخل رحم والدته..." ص(٧) من الرسالة رقم (٢)، " آه من عينيك كجوهرتين مغروزتين داخل وجه يوسفي الهيئة..." ص(٩) من الرسالة رقم (٣)، "أشعر بغددي الدمعية المتمردة تنساب بغزارة كانسياب قطرات المطر بموسم الغيث..." ص(١١) من الرسالة رقم (٤)، " أصبحت رسائلي صادرة لا واردة كوجبة منسية على طاولة عتيقة..." ص(٨٢) من الرسالة رقم (٤٤) ...إلخ. كما برز – في الرواية – عنصر (الطباق)؛ إذ نجده في مواضع متعددة؛ فمثلا: لفظتا "يمينًا وشمالا" ص(٥) من الرسالة رقم(١)، "ذهابًا وإيابًا" ص(١٢) من الرسالة رقم(٤)، "صادرة وواردة" ص(٨٢) من الرسالة رقم(٤٤)، "ليل نهار" ص(٩٢) من الرسالة رقم(٥٣)....إلخ، كذلك عنصر الترادف؛ إذ نجده في مواضع متعددة؛ فمثلا: لفظتا "الهوس والجنون" ص(١١) من الرسالة رقم(٤)، "ضعف ووهن" ص(١٥) من الرسالة رقم(٦)، "الأسى والألم" ص(٩١)

من الرسالة رقم(٥٢)، فضلا عن الأساليب الإنشائية، التي وظفتها الكاتبة في سردها لأحداث الرواية، والتي بدورها تحرّك نفس المتلقي وتجذبه؛ ليواصل القراءة بلا ضجر.

كل هذه الصور البلاغية وغيرها كُثُر، جاءت بها الكاتبة لتوضح بها مشاعر الشخصية البطلة (شجن)، التي تشعر بها من جرّاء معاناتها في الحياة البائسة التعيسة؛ حيث كانت تتوهم وجود حبيب تبعث إليه رسائل كل يوم، وتعيش معه حياة سعيدة تنسيها واقعها الأليم، وبمجرد الاستيقاظ من الوهم والخيال ترجع إلى حالة من البؤس والحزن. والكاتبة في حقيقة الأمر، قد أبدعت في توظيفها لهذه الصور البلاغية، ورسمها للأحداث التي مرت بها الشخصيات –في هذه الرواية– بحسب موقعها السياقي. وهنا تبرز قدرة الكاتبة الفنية والجمالية في الكتابة.

فكل هذه الرسائل التي كُتِبَتْ تصف لنا حالة شعورية تنتاب البطلة (شجن)، جرّاء ما تعيشه من: سعادة وفرح، وحزن وألم وجرح، وشوق وليالي انتظار، وانفعالات قوية جياشة تجاه من تحب تجعل حالتها النفسية في تقلب ما بين سعادة وحزن...

وتأسيسًا لما سبق، فالقضايا التي طرحتها الرواية تمثّل مركز اهتمام الإنسان على مختلف الأصعدة؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في هذا العصر؛ أي التحولات التي يشهدها المجتمع العماني في الواقع الراهن، وخاصة فيما يتعلق بحقوق المرأة ومعاملتها من قبل أفراد المجتمع الذي تعايشه، ومن ثم النظرة التي تحظى بها من قبله؛ جرَّاء المواقف التي تتعرض لها وسط التحديات التي تصدم بها. ولا عجب بأن تخرج المرأة إبداعها وسط كبح مشاعرها وتعاستها في الحياة. وفي هذا السياق، قال الكاتب والناقد مُحَمَّد نور الدين: "إن الألم والحزن قد يكون مسببًا رئيسًا في صياغة الإبداع والتعبير عن ما بداخل الإنسان بصورة صادقة تلامس شغاف نفس المبدع؛ لأنها أكثر صدقًا وارتباطًا بالمشاعر حين يعتصر الإنسان نفسه، فالمبدعون دائمًا ما يبحثون عن ذواتهم وما يعبر عن وجدانهم من مشاعر، وحين يجدونها في تعبير ما، بشتى الوسائل الإبداعية الملهمة والمختلفة، ينجذبون نحوه دون تردد، ولذلك فالإبداع يكون عادة قريبًا من الذات، ومن الآخرين، ويلامس نفوسهم ووجدانهم، مؤكدًا، أن الحزن يكون أحياناً

منحى إنسانياً معبراً؛ لأن المشاعر فيه تتجرد من كل شيء، وترتكز على مرحلة مهمة من الحياة، ويشعر بها الجميع، وتلامس قلوب الجميع أيضًا".

إن المرايا التي قدّمتها الكاتبة لا تمثّل كل الوضعيات للمرأة العمانية في العصر الراهن؛ لأنها كشفت فقط عن حالات الظلم للمرأة وتحدثت عن مثال واحد انطلاقا من تجربة شخصيتها الرئيسية شجن بقولها "هنا لابد لك أن تعلمي أيتها المسكينة أنه سقطت كل امتيازات كحبنها...سقطت منك لتبدئي سلسلة من المعاناة في مجتمع ينظر إليك بدناءة: كنظرة العرب للمؤودة أيام الجاهلية الأولى". في حين أن المرأة العمانية تتمتع بجميع حقوقها؛ فهي المرأة المتعلمة والمثقفة والعاملة والباحثة والشاعرة كما بينا في بداية التقديم.

المصادر

١- العبري؛ رنا، بين قلبي والمكاتيب، مركز مكتبة أمجاد الإسلام، مسقط - سلطنة عمان٢٠١٨م.

المراجع

١- البلوشي؛ عهود وآخرون، واقع الطلاق في المجتمع العماني، دراسة ميدانية، جامعة السلطان قابوس ووزارة التنمية الاجتماعية، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٥م.

٢- الغرير؛ خديجة عبد الله، المشكلات الاجتماعية للمرأة المطلقة، جامعة عين شمس، مصر ٢٠١٨م.

٣- الدليمي، طارق عابد أحمد، الضغوط التي تواجه المرأة الأرملة وسبل معالجتها، جامعة الأنبار، العراق، ٢٠١١م.

٤-أرزازي؛ مُحَمَّد، تمثلات المجتمع لظاهرة عقم المرأة، المدرسة العليا للعلوم التطبيقية، تلمسان، الجزائر ٢٠١٧م.

٥-القضاة؛ مُحَمَّد أحمد، ظاهرة العنوسة في المجتمع العماني أسبابها وآثارها الاجتماعية والنفسية: دراسة ميدانية، جامعة عين شمس، مصر، ١٩٩٨م.